مصرف الفقراء والمساكين (١)

س: نحب في الحلقات القادمة بعد أن بينا مصارف الزكاة إجمالاً، أن تتحدث عنها ببعض التفصيل، حتى نحدد معالم كل مصرف منها، ويكون المزكي على علم بهذه المعالم، فيطمئن إلى وفائه بما أوجب الله عليه. ونحب أيضاً أن نتناول هذه المصارف بالترتيب الذي جاء في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فلا شك أن الله تعالى قدم في الذكر ما ينبغي أن يقدم في الاهتمام به ورعايته. وعليه فإن حلقة اليوم بمشيئة الله تعالى ستدور حول مصرف الفقراء والمساكين. فمن الفقير ومن المسكين يا دكتور؟

ج: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد.

فإن الفقر هو الاحتياج، والفقير هو الشخص المحتاج الذي لا يستطيع أن يوفر احتياجاته بنفسه، والمسكين من السكون وعدم الحركة، وينتهي إلى عدم القدرة على توفير احتياجاته أيضاً، ومن ثم فإننا نستطيع الجمع بينهما في سهم واحد، يشمل أهل الاحتياج الذين لا يستطيعون أن يوفروا احتياجاتهم بأنفسهم. ذلك أن الفقهاء يختلفون اختلافاً كبيراً حول الفرق بين الفقير والمسكين، فمنهم من يرى الفقير أحسن حالاً من المسكين، أي أنه يملك شيئاً وتنقصه أشياء، ومنهم من يرى المسكين أحسن حالاً من الفقير، بمعنى أن المسكين يملك ما لا يكفيه، والفقير لا يملك شيئاً من الأساس، ومنهم من قال إنهما بمعنى واحد، وهذا الخلاف بين الفقهاء تابع للخلاف بين علماء اللغة في تحديد معنى الفقير ومعنى المسكين، فقد روى عن ابن السكيت أن الفقير الذي له بلغة من العيش، والمسكين الذي لا شيء له، وقال

الأصمعي: المسكين أحسن حالاً من الفقير، وقال يونس: الفقير أحسن حالاً من المسكين، وقال ابن الأعرابي: الفقير الذي لا شيء له، والمسكين مثله. وهكذا نجد الخلاف بين أهل اللغة، قد انتقل صداه إلى الخلاف بين الفقهاء ولعلي استطيع أن أقول إن الفقير والمسكين كلاهما من أهل الحاجة، والفرق بينهما فرق نفسي في سلوك كل منهما، مسترشداً في ذلك بالحديث النبوي الشريف الذي يقول: **«لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»**. وعليه فإن المحتاج الذي يعلن عن حاجته ويسأل، هو الفقير، والمحتاج الذي يتعفف ولا يسأل هو المسكين، فهما على أساس هذا الفهم صنفان، وليسا صنفاً واحداً، تجمعهما الحاجة، ويفرق بينهما الموقف والسلوك، وعلى هذا الفهم يكون المسكين أفضل من الفقير لأن الإسلام يكره المسألة، ويحض على التعفف، ولأن الذي لا يسأل يحاول أن يتغلب على ظروفه بجهوده، أما الذي يسأل فقد وقفت جهوده عند السؤال، ويحاول أن يكفى نفسه بهذا الطريق، وهذا غير محبب في الإسلام، ولذلك رأينا النبي ﷺ يستعيذ من الفقر ورأيناه يطلب أن يجعله الله تعالى من المساكين، **«اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والكفر»**، و**«اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»**.

س: إذاً الفقير هو المحتاج الذي يسأل، والمسكين هو المحتاج الذي لا يسأل، فما هو موقف المزكي بينهما؟ وهل يعطى زكاته لمن نشاهدهم يسألون الناس؟

جـ- للأسف فإننا عندما تخلينا عن تطبيق الزكاة تطبيقاً صحيحاً وتركناها للأفراد يؤدونها بأنفسهم أو لا يؤدونها، قد أجهضنا دور الزكاة، وأبطلنا أثرها في بناء الأمة، وتحول كثير من المسلمين إلى متسولين بائسين، وأصبح الفقر مهنة، وتوسعت دائرته

وورثه الأبناء عن الآباء، وأصبحنا نشاهد الشخص يمارس التسول في منطقة ما أعواماً طويلة، منذ أن كنا شباباً حتى أصبحنا شيوخاً وبعض المتسولين يقفون في نفس المكان لهذه الأعوام الطويلة، فما هو موقف المزكي؟

لاشك أن المزكي مكلف بأن يضع زكاته في مصارفها الصحيحة، ومن ثم فعليه أن يتحرى لمن يعطيها؟ هل يعطيها لمتسول محترف غالباً ما يكون أغنى من المزكي، أم يبحث عن الفقراء والمساكين الذين يستحقون الزكاة؟

لا شك أن الزكاة لا تعطى إلا لمستحق، ومن ثم فلا ينبغي أن تعطى لمن لا نعرف حاله، بل على المزكي أن يبحث عن المحتاجين الذين لا يتعرضون للناس بالسؤال، أي يبحث عن أهل بيت متعففين، يعطيهم زكاته، فيغنيهم، أو عن مريض لا يستطيع شراء الدواء فيشتريه له، أو عن طالبٍ نابه، لا يستطيع أن ينفق على نفسه، فيسدد عنه المصروفات الدراسية مثلاً وهكذا... أما الذين يقفون على قارعة الطريق، ولا يعرف عن حقيقة وضعهم شيئاً، فلا يصح أن يعطى لهم زكاته، نعم يستطيع أن يعطيهم من الصدقات ويثاب على صدقته، وإن ذهبت إلى غير مستحق، طالما أنه كان يقصد بذلك وجه الله تعالى.

س: يعنى الذين لا نعرف أحوالهم نعطيهم من الصدقات العادية، أما الزكاة فلا نعطيها إلا لمن نعرف أنه من أهل الاستحقاق من الأصناف الثمانية؟

جـ- نعم هذا توضيح جيد، يلخص الموقف، وييسر على المزكي فهم القضية. ولعلنا نزيدها إيضاحاً بأن نقول إن الزكاة ينبغي أن تعطى لمن نعرف أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية من الأهل والمعارف والجيران، وأهل المسجد الذين نلتقي

بهم يومياً، ونعرف ظروفهم، وإن لم يكن من هؤلاء من يستحق الزكاة فالأيسر أن نعهد بها إلى جمعية من الجمعيات التي يقوم عليها أناس موثوق بهم، وبمعرفتهم لأحكام الزكاة حتى تنفق بواسطتهم في مصارفها الشرعية.